

وكنت أتابع من بعيد ، ككتائب الشباب وهي تخرج من أعماق البادية فتقتحم الأسوار إلى آفاق العلم والمعرفة لكنني ما توقعت أن يشهد جيلي ، خروج بنات الجزيرة من متاهة الجهل المفروضة عليهن باسم الدين ، إلى رحاب الجامعة . ولم أكن نسيت السدود الصماء التي رأيتها مضروبة على (حريم الجزيرة) تتحدى أي محاولة لإخراجهن إلى دور العلم . وقد سألت في رحلتي الأولى : فيم هذا التعطيل لعقل المرأة المسلمة والوَأد لوعياها ، والعلم في ديننا فريضة على كل مسلم ومسلمة ؟

فكان الرد : يخشى المشايخ أن يكون تعليمها ذريعة فساد خلقي .

ولما لم أفهم كيف يمكن أن يكون العلم مفسدة ، قيل لي فيما قيل ؛ إن البنت إذا تعلمت القراءة والكتابة ، لم يؤمن أن تتسلل إليها ومنها رسائل غرامية ، فتساق إلى الغواية والإغواء !

يومها لم أملك إلا أن أقول : لقد قرأنا وكتبنا ، وإن إحدانا لتلك من أمرها ، ما لا يملكه الحراس الأشداء . عفتها كانت وستظل أبداً ملك يديها ، لأتفرض عليها من خارج . وهي في الإسلام مكلفة كالرجل سواء بسواء ، تحمل وحدها أمانة إنسانيتها وتبعتها كسبها ومستولية عملها . وقد « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » و« ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين » و« مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » .

وكان أخشى ما أخشاه ، وأنا أرى بنات الجزيرة معطلات العقل موهودات الوعي ، أن يُظن بالإسلام أنه يريد للمرأة أن تُمسح آدميتها فتبهط إلى دنوية الدواب العجماء ، وإني لأعلم أنه الذي حرر عقولنا وضمائرنا ، وأن الله سبحانه ، مَنْ عَلِمْنَا بِأَنْ بَعَثَ فِيْنَا نَبِيْنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَعْلَمُنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . فإذا أفتى مشايخ نجد بأن تعليم البنت مفسدة ينبغي أن تُتقى سداً للذرائع ، والدنيا تعرف لهؤلاء المشايخ فقهم للإسلام وجهادهم في مقاومة البدع وتنقية العقيدة من الشوائب ، فإن الناس يُعذرون إذا ظنوا بالإسلام الظنون ، وحسبوا أنه يفرض على المرأة أن تعيش ذمية صماء بكاء عمياء البصر والبصيرة .

ومعاذ الله أن نكون هكذا ، ونحن نتلو من آياته المحكمات .

« إن شرَّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . .